ملخّص برنامج بانوراما الرجعة العظيمة - الحلقة 39 / عبد الحليم الغزّي
الاطار الفكري والمعرفي للتفقه الزهرائي في عقيدة الرجعة العظيمة بحسب المنهج اليماني ج10
دراية الحديث المعصومي ورعايته
ما بين التوجه بهم والتوجه اليهم ج1
الاربعاء : 10/شوال/1446هـ - الموافق 9/4/2025م

"**الْإِطَارُ الْفِكْرِيّ وَالْمَعْرِفِيّ لِلتَّفَقُّهِ الزَّهْرَائِيّ فِي عَقِيدَةِ الرَّجْعَةِ الْعَظِيمَةِ بِحَسَبِ الْمَنْهَجِ الْيَمَانِيّ**"، كي نُحقّقَ:
- **أولاً**: ثباتَ عَقيدةَ الرجعةَ العَظيمة عبر استطعامِها العَقليّ والقَلبيّ واستشرابِها.
- **ثانياً**: التَّعمُّقُ في عَقيدة الرَّجْعَة العَظيمَة من خلال سَبْرِ أغْوارِها الروحيّة.
وبيَّنتُ في الحلقات المتقدِّمة من أنَّ كُلَّ هذا لا يتحقَّقُ إلَّا باجتماعِ أُمورٍ، إنّي ذاكرٌ أهمَّها:
حدَّثتكم عن الأمرِ الأوَّل منها: "التَّواصُلُ الصَّحيحُ مع القُرآن"..
الأمرُ الثَّاني: "دِرايَةُ الحَديثَ المَعْصُوميّ ورِعايَتُه".
قطعاً كلامي هُنا بِخُصوص أحاديث الغَيبَة والظُّهور والرَّجعة، فالبانُوراما بانوراما الرَّجْعَة الْعَظِيمَة، فحينما يكونُ الحديثُ عن روايات الرّجعة سيدخلُ ضمنهُ الحديثُ عَن الغَيبَة والظُّهور، لأنَّ أحاديثَ الغَيبَة والظُّهور والرّجعة تترابطُ على المستوى اللَّفظي، وعلى المستوى المَعنويّ، وعلى المستوى العقائديّ، وعلى المستوى الحقائقيّ على الأرض، هُناكَ ترابطٌ واضحٌ في الثَّقافَة المَهدويَّة فيما يرتبطُ بِشُؤون الغَيبَة والظُّهور والرّجعَة العَظيمَة، وهذا واضحٌ في مُجمَلِ أحاديثهم الشَّريفة الَّتي ترتبطُ بهذه الموضوعات..
في (معاني الأخبار) للصّدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، طبعةُ مؤسَّسة النَّشر الإسلامي/ قُمْ المقدَّسة/ الصَّفحة الثَّالثة والتِّسعين، الحَديثُ الثَّاني، في أوَّل ما بَدأ الصّدوقُ بِنَظم الأحاديث: **بِسَنَدِه** - بِسند الصّدوق - **عَنْ بُرَيْدٍ الْعِجْلِيِّ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا** - الإمامُ الباقر يقولُ للإمام الصّادق، والكلامُ ليسَ للإمام الصَّادق، إنَّما يُنقَلُ الحديثُ بهذه الطَّريقة لبيانِ أهميّة مضمونه، الإمامُ الباقر يقولُ للإمام الصّادق: **يَا بُنَيَّ اعْرِفْ مَنَازِلَ الشِّيعَةِ عَلَى قَدْرِ رِوَايَتِهِمْ وَمَعْرِفَتِهِمْ** - ومَعرفَتهم بنا مُحمَّد وآل مُحمَّد عبر معرفَتهم لروايتنا - **فَإِنَّ الْمَعْرِفَةَ هِيَ الدِّرَايَةُ لِلرِّوَايَةِ، وَبِالدِّرَايَاتِ لِلرِّوَايَاتِ يَعْلُو الْمُؤْمِنُ إِلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ الْإِيمَانِ** - كلامٌ خَطيرٌ هذا، إذا أردنا أن نُطبِّقهُ على الشِّيعَة عُموماً فَلَن نَجِدَ أحداً يستحقُّ الاحترام، لأنَّ الإمامَ الباقر هُنا يُبيِّنُ لنا قانُونَ احترام الشِّيعة..
دِرايةُ الرِّواية ليسَ كما يُعلِّمونكُم في حوزات النَّجاسة والرِّجاسة؛ "من أنَّ الأمرَ يرتبطُ بالأسانيد والرِّجال"، دِرايةُ الرِّواية فيما يشتملُ مضمونُها، فيما يشتملُ متنُها على حقائقِ المعاني - **إِنِّي نَظَرْتُ** - لا زالَ الإمامُ الباقر يقول - **فِي كِتَابِ لِعَلِيٍّ** - صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلامُهُ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ - **فَوَجَدْتُ فِي الْكِتَابِ أَنَّ قِيمَةَ كُلِّ امْرِئٍ وَقَدْرَهُ مَعْرِفَتُهُ** - وهذه المعرفةُ لابُدَّ أن تكون مُستندةً إلى قُرآنهم المفَسَّر بتفسيرهم، وحديثهم المفَهَّم بتفهيمهم، وهذا هُو مضمونُ بيعة غَديرِ عَلي.
- **إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُحَاسِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ مَا أَتَاهُمْ مِنَ الْعُقُولِ فِي دَارِ الدُّنْيَا** - أعطانا العَقْل فماذا نَعمَلُ به؟ نَعمَلُ بهذا العَقْل؛ أن نُدرِكَ المعرفةَ السَّديدة، أن نُدرِكَ الدِّرايةَ الحَكيمةَ لرواياتهم وأحاديثهم..
في الحديث الثَّالث: **بِسَنَدِه** - بِسند الصَّدوق - **عَنْ إِبْرَاهِيمَ الْكَرْخِيِّ، عَنْ إِمَامَنَا الصَّادِقِ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ: حَدِيثٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ حَدِيثٍ تَرْوِيهِ**
- المشكلةُ ليست في الرِّوايَة، المشكلةُ في الدِّرايَة، لكنَّ الدِّرايةَ تحتاجُ إلى رِوايَة - **وَلَا يَكُونُ الرَّجُلُ مِنكُم فَقِيهاً حَتَّى يَعْرِفَ مَعَارِيضَ كَلَامِنَا** - قاعدةٌ واضحة، والمعاريضُ أسلُوبُهم الخاصُّ في الكلام، إشاراتُهم، مُصطلحاتُهم، رُمُوزُهم، طريقةُ تعبيرهم، منهجُهُم في الحديث، هذه هي المعاريض..
- **وَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنْ كَلَامِنَا لَتَنْصَرِفُ عَلَى سَبْعِينَ وَجْهاً لَنَا من جَمِيعِها الْمَخْرَجُ** - الكلامُ هنا ليس من قَبيلِ التَّلاعُبِ بالألفاظ، الكلامُ هُنا من قَبيلِ التَّخريج الحقيقيّ للمضامين الحقيقيّة النَّاظرة إلى حيثيات الحِكْمَة..
يَقُولُونَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وسَلامُهُ عَلَيْهِم أَجْمَعِين:
في (غَيبَة النُّعماني) لابن أبي زَينَب النُّعماني المتوفَّى سنة (360) للهجرة، طبعةُ أنوارِ الهدى - الطبعةُ الأولى/ قُمْ المقدَّسة/ الصَّفحة الرَّابعة والأربعين بعدَ المئة: إمامُنا الصَّادقُ صَلَوَاتُ اللَّه وسَلامُهُ عَلَيْه يَقُول: **خَبَرٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرِ تَرْوِيهِ** - الكلامُ مُختَلٌّ، لكنَّني قرأتُ النَّصَّ المطبُوعِ للأمانة العلميّة - **خَبَرٌ تَدْرِيهِ خَيْرٌ مِنْ عَشْرَةِ تَرْوِيهَا** - وَرُبَّمَا الأصل ما مَرَّ علينا قبلَ قليل: (خَبَرٌ تَدْرِيه خَيرٌ من ألف حَديث تَرويه) والمعنى واحد - **إِنَّ لِكُلِّ حَقٍّ حَقِيقَةً وَلِكُلِّ صَوَابٍ نُوراً** - هذا المضمونُ الَّذي أُرَدِّدُهُ دائماً من أنَّ الحقائقَ تَحملُ قيمَتَها في نَفسها، فَلَستُ أَنا ولا غَيري الَّذي يُعطي للحقيقة قيمَتَها، وإنَّما الحقيقةُ تُعطينا قيمةً في أنَّنا صادقُون - **ثُمَّ قَالَ** - إمامُنا الصَّادقُ صَلَوَاتُ اللَّه وَسَلَامُهُ عَلَيه - **إِنَّا وَاللَّهِ** - (إنَّا)، وهذا لتأكيد المطلَب، وقَسَمُ الإمام لا لأجلِ أن نُصَدِّقَهُ، فنحنُ لا نحتاجُ أن نُصَدِّقَ الإمامَ من خلال القَسَم، ولكنَّ الإمامَ يُؤَكِّدُ المعنى ويَستعملُ الأسلُوبَ المُتعارَفَ في الحديث - **لَا نَعُدُّ الرَّجُلَ مِنْ شِيعَتِنَا فَقِيهاً حَتَّى يُلْحَنَ لَهُ فَيَعرِفَ اللَّحن** - "حتَّى يُلحَنَ لَهُ"؛ حَتَّى يُلحَنَ لَهُ في حديثنا، يكونُ قادراً على معرفَة مُرادنا، فإنَّ اللَّحنَ هُنا هُوَ مُرادُهُم الَّذي قد يكونُ مُخفياً تَحتَ المعاريض، لأنَّ المعاريضَ تُخفي المضامينَ الحقيقيّة..
وهذا يحتاجُ إلى مُعايشة طويلة لحديثهم وكَلماتهم وسَبرِ أغوارِ مَعارفهم مع مَعرفة تفصيليّة بِسيرتهم العَمليّة على المستوى السياسي، على المستوى الاجتماعي، على المستوى الأسريّ في داخل بيُوتهم، على المستوى الأخلاقي، على سائر المستويات الَّتي يتحرَّكُ فيها الأئمَّةُ في شُؤون حَياتهم المختَلفة..
لقد كتبتُ مجموعةً من الملاحظات بهذا الشأن، أقرؤها عليكُم لَعلَّ أحداً ينتفعُ منها، إنَّني أتحدَّثُ هنا عن مجموعة أحاديث الغَيبَة والظُّهور والرّجعَة، فهذه الملاحظاتُ تَرتبطُ بهذه المجموعة:
أوّلاً: **لَم تَصلنَا كَامِلَةً** - أعني أحاديثَ الغَيبَة والظُّهور والرّجعة، أي أنَّ المجموعةَ لم تَصلنا كاملةً - **وما وَصلَنا تَعرَّض ما تعرَّض منه للتَّحريف والتَّصحيف** - التَّحريفُ يكونُ مُتعَمَّداً، وأمّا التَّصحيفُ فيأتي من الضَّعف والوهن البشريّ - **لذا علينا أَن نُدَقِّقَ في النُّصوص والمصادر واختلاف النُّسَخ وكُلِّ ما يُمكنُ أن يَكُونَ نافعاً ومُفيداً في ذلك** - وهذا مَطلبٌ عَمليٌّ وعلميٌّ في الوقت نفسه بحاجة إلى كلامٍ كثيرٍ وكثير، لكنَّني أكتفي بهذه الملاحظة وهذه الإشارة السريعة.
ثانياً: **هُناكَ تَضارُبٌ وعدمُ وضُوحٍ واضطرابٌ فيما بَيْنَ النُّصوص، والسَّببُ هُوَ ما ذكرتهُ أَوَّلاً من جهة، ومن جهة أُخرى؛ إِنَّهُ قانونُ البَداء وتَطبيقَاتُه** - فكثيرٌ من الأمورِ تكونُ قد خضعت لقانون البداء وتَغيَّرت، ومن هُنا فإنَّنا حينما نَنظُرُ في النُّصوص مع النَّظرِ إلى الماضي والحاضرِ ومايتوقَّعُ في المستقبل بِحسَبِ المُقدِّمات الحاصلة فعلاً نَجِدُ تَضارُباً وعدمَ وضُوحٍ واضطراباً بِسببِ تَطبيقات قانُون البداء، ونَحنُ لا نَعرِفُ أسرارَ تطبيقات قانون البداء، أمورٌ غيبيَّةٌ هذه.

- **إذْ الإخباراتُ عن الْمُستقبلِ في كَثيرٍ منَ الأحيانِ مُتحرِّكةٌ مُتغيِّرةٌ بِسببِ قانون البَداء، وفي الوَقْتِ نَفسهِ نَحْنُ لا علمَ لنا بتطبيقاتِ البَداءِ الواقعيَّة لأنَّها أمرٌ غيبيٌ لا نَملكُ اطِّلاعاً عليه، ولو كُنَّا نَعلَمُ ذلكَ لانتهت المشكلة.**

ثالثاً: **الحلُّ أين؟** - أمامَ كُلِّ هذه العوائق - **الحلُّ هُوَ الرُّجُوعُ إلىٰ قواعد التَّفهيم الغَديريّ** - بِحسَبِ ما بايعنا عليه في بيعة الغدير، (هَذا عَليٌّ يُفَهِّمُكُم بَعدي)، أن نَدرُسَ المنطقَ العَلويّ، ولقدَ أفاضَ علينا أَميرُ الْمُؤمِنِيْن بألافِ مُؤلَّفةٍ مِن القواعدِ والبديهيَّاتِ المنطقيَّة الَّتي تُشَكِّلُ لنا مَنطقاً عَلَوياً واسِعاً جَبّاراً عَظيماً ضَخماً..

- **ومن أهمِّها؛ قاعدةُ "الْمُحْكَمِ والْمُتشَابِه"** - وهذه القاعدةُ تفصيلُها طويلٌ، هذه هي القاعدةُ الَّتي تُمَثِّلُ السِّرّ الأعظمَ في فَهمِ الأحاديث، ولكن لا يستطيعُ أيُّ شخصٍ أن يُطَبِّقها إلَّا أن يَكُونَ على موسُوعيةٍ في أحاديثهم حتّى يستطيعَ أن يُمَيِّزَ ما بينَ الْمُحْكَمِ والْمُتشابِه، مِن دُونِ الموسوعيّةِ لَن يستطيعَ أن يُطَبِّقها أبداً بأيِّ وَجه منَ الوجوه..

- **وَقَاعدةُ؛ "الإرجَاء"** - وهي قاعدةٌ ضَروريَّةٌ جِدّاً، قاعدةُ الإرجاء؛ أن نَترُكَ الأحاديثَ وأن لا نَعمَلَ بها نَضَعُها جانباً، لا نُنكرُها، وإنَّما نَترُكُها حتّى تتَّضحَ لنَا الحقائق، فإن لم تتَّضح لنا الحقائق فإنَّنا تَارِكُوها، هذه القاعدةُ أساسيّةٌ جِدّاً، الشِّيعةُ لا تَعملُ بِها لأنَّهُم لا يَعرِفونَ أسرارَ تَطبيقِها، هاتان القاعدتان مِن أهمِّ القَواعد في فَهمِ النُّصُوص المعصُوميّة، والأمر يجري على القُرآن أيضاً، أسلوبُ القُرآنِ هُوَ هُوَ أسلُوبُ حَديثهم..

- **التَّشابُهُ قد يكُونُ أصلِيّاً في النَّص صَادراً عن المعصُوم لحكْمَة مُعيّنة كالتَّقيّة والْمُداراة و و و، وقد يكونُ التَّشابُهُ عَرَضيّاً من جِهةِ عَدمِ علمِنا بتطبيقاتِ البَداء الفعليَّة، أو من جِهة تَعرُّض الأحاديث لضَعف الرُّواةِ البَشريّ أوَ للتَّحريفِ الْمُتعمَّد وغَيْره.**

رابعاً: **حِينما لا نستطيعُ تَطبيقَ قاعدة الْمُحْكَمِ والْمُتَشَابِه والعَملَ بِها نَعُودُ إلىٰ قَاعدة الإرجَاء** - هذه الملاحظةُ مُهِمَّةٌ جدّاً..

في (عيونُ أخبار الرضا) للصَّدوق، المتوفَّى سنة (381) للهجرة، الجزء الأوَّل، طَبعة مؤسَّسة شمس الضحى- إيران/ البابُ الثَّامنُ والعُشرون، الصَّفحة الثَّانية بعدَ الأربعمئة، الحديثُ التَّاسعُ والثَّلاثون: **بِسَنَده** - بِسند الصّدوق - **عَنْ أَبِي حَيُّونَ مَولَىٰ الرِّضَا** - من خُدَّام إمامنا الرضا - **عَن الرِّضَا صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْه قَال: مَن رَدَّ مُتَشَابِهَ القُرآنِ إِلَىٰ مُحْكَمه فَقَد هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاط مُسْتَقيم، ثُمَّ قَالَ عَلَيْه السَّلام: إِنَّ فِي أَخْبَارِنَا مُتَشَابِهاً كَمُتَشَابِه القُرآن، وَمُحْكَماً كَمُحْكَمِ القُرآن، فَرُدُّوا مُتَشَابِهَهَا إِلَى محكَمِهَا، وَلَا تَتَّبعوا مُتَشَابِهَهَا دُونَ مُحْكَمِهَا فَتَضلُّوا** - هذه هي قاعدةُ الـمُحْكَمِ والـمُتشَابِه، وهذه القاعدةُ تحتاجُ إلى دراسة فقهِها ومَعرفة أسرارها، أمّا تطبيقُها العلميّ والعَمليّ فإنَّهُ يحتاجُ إلى اطِّلاعٍ واسعٍ في منظُومَةِ أحاديثهم الشَّريفة..

الملاحظةُ الخامسة: **هـذَا الأمر** - التَّعامُلُ معَ الحديث - **هـذا الأمرُ يَحتاجُ إلىٰ دِقَّة مُتناهية وموسُوعيَّة حقيقيَّة ومن هُنا قالَ الأئِمَّةُ صَلَوَاتُ اللّه عَلَيْهِم: اعْرِفُوا مَنَازِلَ شِيْعَتنَا عِنْدَنَا بِقَدْرِ مَا يُحسِنُونَ مِنْ رِوَايَتِهِم عَنَّا.**

أضربُ لَكُم مِثالاً من كَلماتهم:

ما قالهُ إمامُنا الصَّادقُ صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْه وجاء مَذكُوراً في (غَيبَة النُّعمانيّ)، الصَّادقُ يقول: **اعْرِفُوا** - هذا أمرٌ للشِّيعة - **اعْرِفُوا مَنازِلَ شِيْعَتنَا عِنْدَنا عَلَىٰ قَدْرِ رِوَايَتِهِم عَنَّا وَفَهْمِهِم مِنَّا** - طَبِّقوا هذا الكلام على الخُطَباءِ اليزيديّين، على حَمير المَراجع الَّذينَ يُوصَفُونَ بأنَّهُم الخُطباءُ الحُسينيّون، طَبِّقوا هذه القاعدةَ الَّتي يلزمُكُم الإمامُ الصَّادقُ بها..

من خلالِ الْمُداوَمَة، ومن خلالِ الْمُتابعة سيستطيعُ الشِّيعيّ أن يُمَيِّزَ هذه الحقائق، قطعاً النَّاسُ تختلفُ مراتبُهُم، والتَّمييزُ أيضاً مراتبهُ مُختلفة، فقد يكونُ الْمُمَيِّزُ يُمَيِّزُ الأُمُورَ بِكُلِّ تَفاصيلِها وبِكُلِّ دَقائقها، وقد يكونُ الْمُمَيِّزُ يُمَيِّزُ الأمرَ إجمالياً، في الآخرِ هُو تَمييزٌ يكونُ نافعاً للإنسان الَّذي يُريدُ أن يُشَخِّصَ الحقائق في الواقع الشِّيعي وفي أجواء الَّذينَ يتحدَّثونَ باسم العترَة الطَّاهرة صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْهَا..

سادساً: **من كُلِّ ما تَقدَّم يتَّضحُ السَّببُ الَّذي يَدعُوني أَن أَقُولَ لَكُم دائِماً نَظِّفوا عُقُولَكُم من خَراءِ المراجع والخُطباءِ والْمُؤلِّفينَ الطُّوسيَّون، الَّذينَ يُقدِّمونَ لَكُم في لَيلهم ونَهارهم خَراءهُم الطَّازج.**

سابعاً: تَسلسُلُ الأحداث في رِوايات الغَيبَة والظُّهُور والرَّجعة قد يكونُ مَقصُوداً منَ المعصُوم - حِينما تقرؤونَ الأحاديث وتَجِدونَ أنَّ الوقائعَ والأحداثَ تُذكَرُ في الرِّوايات بنحوٍ مُتسلسِل - وقَد لا يَكُونَ مَقصُوداً وإنَّما يكونُ التَّرتيبُ بِحسَب الأهميّة - وليسَ بلحاظ التَّحقُّق الزَّماني - أو بِحسَب القُربِ من زَمن الظُّهُور وليسَ بِملاحظة التَّسلسُل الزَّمانيّ الاعتيادي، وهـذا يَقُودُنا إلىٰ فَهمِ الرَّاوي كَيفَ فَهِم ذَلك، وإلىٰ حفظه ومدى دقَّته، وقَدْ يكونُ الرَّاوي ليسَ دَقيقاً لأنَّهُ لم يَكُن هُوَ الْمُخَاطَب، والْمُخَاطَبُ الَّذي كانَ سائلاً فَهِمَ الموضُوعَ بِدقَّة، ولكن إما أنَّهُ لم يَكُن قد روى ذَلك، أو أنَّهُ ما هُوَ بِراوية حَديث، أو نَقلَهُ ولم يَصل إلينا، أو نَقلَهُ وتَعرَّضَ الحديثُ للعوارض المختلفة - الَّتي أشرتُ إليها في الملاحظات الْمُتقدِّمة - كُلُّ هـذا لابُدَّ أن يُؤخَذَ بالحِساب، وفي الوقتِ نَفسهِ لابُدَّ من استقصاء الجُهد في البحثِ عَن القَرائنِ الَّتي تَكشفُ لنا الغُموضَ بِحسبِ ما هُوَ مُمكن - وهذه القضيَّةُ أساسيَّةٌ جِدّاً..

- الوقوف عند ذكر أمثلة منَ التَّحريف ومنَ التَّصحيف بنحوٍ سريع.

لابُدَّ أن تَعرفوا هذه الحقيقة الَّتي يُبيِّنُها لَنا أَميرُ الْمُؤْمِنِيْن صَلَوَاتُ اللّه وسَلامُهُ عَلَيْه عبرَ حُذيفَةَ بنِ اليَمان:

في (غَيبَة النُّعمانيّ)، الطبعة نفسها، الصَّفحة الرَّابعة والأربعين بعدَ المئة، الحديثُ الثَّالث، أَميرُ الْمُؤْمِنِيْن يقولُ لحُذيفَة: **إِنَّ عِلْمَنَا أَهْلَ البَيْت** - وعلمُهُم جاءنا عبرَ أحاديثهم - **سَيُنْكَرُ وَيُبْطَل** - الَّذينَ أنكَرُوهُ نواصبُ سقيفة بني ساعدة، الإنكارُ قد يكونُ مِن دُونِ مُقدِّمات فَيُنكرُ الْمُنكرُ ما يُريدُ أن يُنكِر مِن دُونِ مُقدِّمات، أمّا الَّذي يُريدُ أن يُبطِلَ شيئاً فلابُدَّ أن يَصنعَ مُقدِّمات، وهذا ما فعلتهُ سقيفةُ بني طوسي بِحُجَّة أنَّها تُريدُ أن تَصلَ إلى الحقيقة..

- **وَتُقْتَلُ رُوَاتُه** - وهذا القَتلُ قد يكونُ جَسدياً وقد يكونُ مَعنوياً، والقَتلُ المعنويُّ أقسى من القَتلِ الْمَادي، لماذا؟ لأنَّ القَتلَ الْمَادّي يكون مرَّةً واحدة، أمّا القَتلُ المعنويُّ فإنَّهُ يكونُ في كُلِّ ساعة في كُلِّ صباحٍ ومساء - **وَيُسَاءُ إِلَىٰ مَن يَتْلُوهُ بَغياً وَحَسَداً** - هؤلاء الَّذينَ تَضَعُونَهُم تيجاناً على رُؤوسكُم وتُقَلِّدونَهُم تُقَلِّدونَ أحياءهم الآنَ أو في قادم الأيَّام هؤلاء هُم الَّذينَ يسعونَ إلى قَتلِ رِواةِ حديثِ أهل البيت لا لشيءٍ لأنَّهم يَروونَ حَديثَ أهل البيت، أَنا لا أُخاطبُ البهائمَ من أتباعهم..

إلى هنا يكونُ كلامي قَدْ تمَّ في عُنوانَين:

- **الأوَّل**: "التَّواصُلُ الصَّحيح معَ القُرآن".

- **الثَّاني**: "درايةُ الحَديث المعصُوميّ ورعايَتُه".

العنوانُ الثَّالث الَّذي وصلتُ إليه: "ما بَيْنَ التَّوجُّه بِهِم والتَّوجُّه إِلَيهِم".

إنَّني أتحدَّثُ عَن مُحمَّد وآل مُحمَّد صلواتُ اللّه وسلامهُ عَلَيْهِم، أتحدَّثُ عَن إمامِ زَمَاننَا، نَتوجَّهُ بهِ إلى اللّه، ونَتوجَّهُ إليه مِثلمَا نقرأُ في دُعاء النُّدبَة الشَّريف: (**أَيْنَ وَجْه اللّه الَّذِيْ إِلَيْه يَتَوَجَّهُ الأَوْلِيَاء**)، إنَّهُ إمامُ زماننا صَلَوَاتُ اللّه وَسَلامُهُ عَلَيه.

هذا الْمَطلبُ هوَ جوهرُ دينكُم وجوهرُ عَقيدَتكم.
أنا هُنا لا أُريدُ أن أتحدَّثَ عن الحالاتِ الطارئةِ عندَ الَّذينَ يقُولُونَ نَحْنُ شيعةٌ، أتحدَّثُ عن الحالاتِ العَقائديَّةِ الطارئة، أكثرُ الشِّيعةِ الَّذينَ يقُولُونَ نَحْنُ شيعةٌ ما هُم بِشيعةٍ إنَّهُم مُحبّون بِحسَبِ مُصطلحاتِ العترَةِ الطَّاهرة، ولكن يقولونَ نَحنُ شيعةٌ، أكثرُ الشِّيعةِ يتعامَلُونَ معَ العترَةِ الطَّاهرَةِ معَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ مثلما يتعامَلونَ معَ الصيدليَّة، الصيدليَّةُ كَيْفَ يتعامَلُ معها النَّاس؟ حينما يحتاجُونَ إلى شيءٍ يُباعُ في الصيدليَّة يذهَبونَ إليها، والنَّاسُ بِحسَبِ الطَّبيعةِ لا يحتاجُونَ الدَّواءَ يومياً، هُناكَ حالاتٌ طارئةٌ تَمرُّ عليهم يحتاجُونَ فيها إلى الدَّواء فيذهَبونَ إلى الصيدليّة، فأكثرُ الشِّيعةِ يتعامَلُونَ معَ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صَلَواتُ اللّهِ عَلَيْهِم بِنحوٍ عامٍ ومعَ إمامِ زمانِهم بِنحوٍ خاصٍ يتعامَلُونَ مَعهُم مثلما يتعامَلُونَ معَ الصيدليّة، أنا لا أتحدَّثُ عَنْ هؤلاء لا شأنَ لي بهِم، نَحنُ هُنا نتحدَّثُ في "بانوراما الرَّجعة العَظيمَة"، نتحدَّثُ عَنْ الَّذينَ يُمكِنُ أن يَكُونوا مِنَ الرَّاجِعين، وهؤلاءِ هُم:
- **أوّلاً**: الماحضُون الإيمان.
- **وثانياً**: الَّذينَ يفوزون برعايةٍ ولُطفٍ من إمامِ زماننا..
إنَّني أتحدَّثُ عن هاتينِ المجموعَتين لَا شأنَ لي ببقيّة أصناف الشِّيعة..
- إذاً هُناكَ تَوجُّهٌ بِمُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد.
- وهُناكَ تَوجُّهٌ إليهِم.
المُتَوَجِّهونَ إليهِم؛ هؤلاء هُم الماحضون للإيمان.
المُتَوَجِّهونَ بِهِم إلى اللّه؛ هؤلاء هُم الَّذينَ يُمكِنُ أن يُوفَّقوا لرعايةٍ ولُطفٍ من إمامِ زَماننا كي يعودوا في الرَّجعة الصُّغرى، في الرَّجعة الكُبرى..
التَّشيّع الحقيقي؛ أن يَكُونَ الشِّيعيّ مُتوجِّهاً إلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ بنحوٍ دائم، مُحبّو أهلَ البيت رُبَّما في ظرفٍ طَارئٍ مُلِحٍ يجبرُهُم أن يَتوجَّهوا إلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّد، فهؤلاء لَيسُوا مِنَ الَّذينَ محضوا الإيمان، إنَّهُ ظَرْفٌ طَارِئٌ حَاجَةٌ مَاسَّةٌ، أمَّا حَديثي فعن الَّذينَ بَنُو عَقيدَتَهُم في كُلِّ تفاصيلها، وبَنُو دينَهُم، وبَنُو عِباداتِهم، وبَنُو طُقُوسِهِم وأخلاقَهُم بَنُوها على هذا المبدأ؛ من أنَّهُم يَتوجَّهونَ إلى مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ لأنَّ مُحَمَّداً وآلَ مُحَمَّدٍ هُم وَجهُ اللّه..
أمَّا الَّذينَ يَتوجَّهونَ بِهِم إلى اللّه؛ هُم يَتصوَّرونَ أنَّهُم قادرون أن يَتوجَّهوا إلى اللّه بهذهِ الوَاسطة، وهذا النحو مِنَ العبادةِ والاعتقادِ والنِّيّةِ والمعرفةِ مَقبُولٌ عندَ اللّه، لأنَّ القُرآنَ أقرَّ هذين الاتِّجاهين..
النَّاسُ تَختلِفُ مَداركُها، تَتباينُ مَراتِبُ عُقُولها، تتعدَّدُ نواياها، ولِذا فإنَّ رَحمة اللّه هي الَّتي فَتحت الأبوابَ للَّذينَ يُريدونَ أن يَتوجّهوا إليه..
عُنوانُنا: "التَّوجّهُ بِهِم.
التَّوجُّهُ بِهِم إلى اللّه، وهذا هُوَ الَّذي نَعرِفهُ بالتَّوسّل، التَّوسّل هُوَ التَّوجُّهُ بِهِم إلى اللّه سُبحانَهُ وتعالى، أنا لا أتحدَّثُ عن طَلبِ حاجة، طَلبُ الحاجةِ داخلٌ في هذا الموضوع، إنَّما أُحدِّثكُم عن الدِّينِ كُلِّه، فالعقيدةُ تأتي تحتَ هذا العُنوان، والعبادَةُ تأتي تحتَ هذا العنوان، وكُلُّ الْمُجريات الأخرى في حياتنا الدِّينيّةَ تأتي تحتَ هذا العنوان، هذا هُوَ الخطُّ العامُّ في المسيرةِ الدِّينيَّة، هُناكَ أناسٌ لا يَستأنِسونَ بالدِّينِ إلَّا في هذا المسار في عَقائدِهم، في عباداتِهم، في سائرِ شُؤونِهم الدِّينية، وهذا المسارُ مَفتُوحٌ لهم..
هذا الْمَسلكُ وهذا الْمَسارُ أن نَسيرَ إلى اللّه ونَحنُ نتوجَّهُ بِهِم إليه، لأنَّنا من دُونِهم لا نستطيعُ الْمَسير، هذا هُوَ المراد..
في سورة الإسراء؛
موطن الحاجة؛ الآيةُ السَّابعةُ والخمسون بعدَ البسملة: ﴿**أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**﴾، هذه الآيةُ ذكرت لنا جوانبَ الدِّينِ بِنحوٍ إجماليّ..
"**أُولَـٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ**"؛ والدُّعاءُ مُخُّ العبادة، لماذا صارَ الدُّعاءُ مُخَّ العبادة؟ لأنَّ الدُّعاءَ إذا كانَ دُعاءً صحيحاً وصادقاً يُمَثِّلُ صدقَ الْمُعْتَقَد، وَصدقُ الْمُعْتَقَد هُوَ صَدقُ الدِّين، وصِدقُ الدِّينِ يعني نَقاءَ القَلْب يعني صَفاءَ النِّية، وهذا هُوَ الَّذي يريدهُ اللّه من عَبدِه ويُريدهُ العبدُ من نَفسِه إذا كانَ يَدَّعي أنَّهُ على الإيمان.
هؤلاءِ الَّذينَ في مَقام العبادةِ يحاولونَ أن ينجحوا في عِبادَتِهم عبرَ الوسيلةِ إلى رَبِّهِم، نَجاحُهُم في عِبادَتِهم يحتاجُ إلى وسيلةٍ، وإلَّا كيفَ سينجَحُونَ في عِبادَتِهم بِحسَبِ الآية؟
"**يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ**"؛ إنَّهُم يَبتَغُونَ الوَسيلَةَ الأقرب، فَهل الوَسيلَةُ الأقرب عُمومُ النَّبيِّين؟ عُموم الْمُرسَلين؟ هل الوسيلةُ الأقربِ الملائكةُ الْمقربُون؟ ودَقِّقوا النَّظرَ في الآية؛ "**أَيُّهُمْ**"، الحديثُ عن رِجالٍ، الحديثُ عن ذُكُورٍ، الحديثُ عن جِهةٍ عاقلةٍ مُذكَّرة، قد يقولُ قائلٌ: فأينَ النِّسوَةُ الْمُقدَّسات؟ التَّغليبُ الذُّكوريُّ واضحٌ مثلما جاء في آية التَّطهير، بَينما فَاطِمَةُ هي جوهرةُ آية التَّطهير، والكلامُ هُنا هُوَ هُوَ.
"**أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ**"؛ وهذا هُوَ الدِّينُ، فَقلبُ المؤمنِ يَتَزِنُ ما بينَ الرَّجاء والخوف..
"**وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ** - ثُمَّ تُقَرِّرُ الآيةُ حقيقةً: "**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً**"، لِمَن كَانَ لهُ عَقْل فهذه القاعدةُ واضحةٌ بديهيّةٌ، أمَّا الَّذي لا يَملِكُ عَقْلاً فلا حَديثَ لنا معهُ.
إنَّ العبادةَ لَن تَكُونَ عبادةً مَقبُولةً عندَ رَبِّ الأربابِ إلَّا عبرَ وسيلة..
هُنالكَ آيةٌ أخرى في الاتِّجاه نَفسه في سورة المائدة، الآيةُ الخامسةُ والثلاثون بعدَ البسملة: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**﴾، لابُدَّ أن أُشيرَ إشارةً سَريعةً إلى معنى التَّقوى، العُنوانُ الرَّئيس، والعُنوانُ الأصل والحقيقةُ الأكْمَل للتَّقوى: "وَلايَةُ عليٍّ"، لأنَّها هي الَّتي تَقي النَّار، لأنَّها هي الَّتي تَقي المصيرَ الأسود، لأنَّها هي الَّتي تَقي العذابَ الإلهيّ، الصَّلاةُ داخلةٌ في التَّقوى، الصَّومُ داخلٌ في التَّقوى، صَفاءُ القَلْبِ داخلٌ في التَّقوى، نَقاءُ الضَّميرِ داخلٌ في التَّقوى، المعاني الجميلةُ داخلةٌ في التَّقوى، تَجنُّبُ المعاني القَبيحة داخلٌ في التَّقوى، لَكنَّ كُلَّ ذلكَ على حاشية الموضوع، التَّقوى هِيَ الَّتي تَقي الإنسانَ نارَ جهنَّم، الإنسانُ يتَّقي نَارَ جهَنَّم بِولايَةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ الَّتي عُنوانُها وَلايَةُ عليّ..
﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ** - وماذا بعد؟ - **وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ**﴾، ابحَثُوا عن الوسيلةِ كي تَلتَصقوا بها، كُونُوا على وَلايَةِ عَلِيٍّ، لكنَّ هذا سَيكُونُ في مُستوى الاعتقادِ النَّظريّ، في الجانبِ العَمليّ كيفَ سَنُترجِمُ وَلايَةَ عَلِيٍّ على أرضِ واقعنا الدِّينيّ على أرضِ واقعنا العباديّ والطُّقوسيّ؟ عبرَ ابتغاءِ الوَسيلَة.
- ﴿**وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ**﴾، الجِهادُ في سَبيلِه ليسَ مَحصُوراً بالقتالِ بالسَّيف، القِتالُ بالسَّيف هي حالةٌ من حالاتِ الجهادِ في سَبيلِ اللّه وهي حالةٌ استثنائيّةٌ..
حُسنُ التَّبعُّلِ للمرأةِ هُوَ من جُملةِ الْمُجريات الَّتي تقعُ تحتَ هذا العنوان..

العَناوينُ كَثيرةٌ، أعظمُ الجِهاد في سَبيلِ اللّه؛ "طَلَبُ العلمِ طَلَبُ الْمَعرفة"، حينما يكونُ الإنسانُ طالباً لمعرفة إمامِ زَمانه وساعياً في هذا الطريق، ومُستعدّاً أن يُضحّي بِكُلِّ شيء فيه فهذا أعظمُ مِنَ الجِهادِ بالسَّيف، لأنَّ الجِهادَ با لسَّيفِ إنَّما شُرِع لأجلِ هذا، إن كانَ جِهاداً ابتدائيّاً أو كانَ جِهاداً دِفاعيّاً، لأجلِ أن تنتشر معرفةُ مُحَمَّد وآلِ مُحَمَّد..

-**﴿وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾**، **"لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ"** ، هذا التَّعبيرُ يَتكرَّرُ في القُرآنِ لأنَّ القُرآنَ يُريدُ أن يُؤدِّبَنا أن لا نَثِقَ بأنفُسنا، أن نَجعلَ الثِّقةَ بالَّذينَ نَتوجَّهُ بِهم إلى اللّه، إذا كُنَّا وَاثِقينَ من أنفُسنا وَوَاثِقينَ من أعمالنا إذاً لماذا نحتاجُ إلى مُحَمَّد وآل مُحَمَّد كي نَتوجَّهَ بِهِم إلى اللّه؟ أئمَّتنا صَلَواتُ اللّه عَلَيْهِم، إمامُنا الصَّادقُ كان يَدْعُو لخَواصِّ أصحَابِه؛ "أن لا يُخرِجَهُم اللَّهُ من حَدِّ التَّقصير"، وهذا هُوَ المضمونُ الَّذي تَشتملُ عليه أدعيةُ أهل البيت، فإنَّنا حينما نقرأُ أدعيَتَهُم الشَّريفة تُصِرّ هذه الأدعيةُ على أن تُرَبِّينا، إقرارُنا بالتَّقصيرِ هُوَ تَربيةٌ عَظيمةٌ على استشعارِ العُبوديَّةِ في فِناءِ طَاعة اللّه والَّذي لا يتحقَّقُ إلَّا في فناء طَاعَةِ مُحَمَّدٍ وآلِ مُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِم أجْمَعِيْن..